الرد الشرعي
على الفكر الإمامي الحوثي

حارث عبدالحميد الشوكاني

مركز نشوان الحميري
للدراسات والإعلام
Nashwan Al-Himayri for Studies and Media

٢٠٢٣

الرد الشرعي

على الفكر الحوثي

حارث الشوكاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: الرد الشرعي على الفكر الحوثي
المؤلف: حارث عبدالحميد الشوكاني
الناشر: مركز نشوان الحميري للدراسات والإعلام
الجمهورية اليمنية، هاتف: ٩٦٧٧٧٧١١٣٦٣٤
البريد الإلكتروني: info@nafsam.org
الموقع الالكتروني: www.nafsam.org

.

رقم الإيداع بدار الكتب اليمنية: (٣٤٣) ٢٠٢٣م، الهيئة العامة للكتاب والنشر محافظة حضرموت.
الطبعة الأولى: سبتمبر ٢٠٢٣م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الرد الشرعي
على الفكر الحوثي

تأليف:

حارث عبدالحميد الشوكاني

مركز نشوان الحميري للدراسات والإعلام

٢٠٢٣

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبَا ٣٩ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمَا ٤٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرَا كَثِيرَا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلَا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمَا ٤٣﴾، الأحزاب.

ويقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾، الأحزاب٦٧.

آل النبيِ همُ أتباع مِلتِهِ

من الأعاجم والسودان والعربِ

لو لم يكن آله إلا قرابته

صلى المصلي على الطاغي أبي لهبِ

عالم اليمن وشاعره

الإمام نشوان بن سعيد
الحميري

حاشا لله أن يكونوا لطه بل وحاشا أن ينتموا ليزيد

لو يصح إنتسابهم لعلي كرّم الله وجهه في الخلود

لاقشعرت دماؤهم من حياء وأبت أن تجري لهم في وريد

شاعر اليمن أبو الأحرار

الشهيد محمد محمود الزبيري

مقدمة ٩
الفصل الأول المنهجية الصحيحة للفهم والاستدلال ١٧
الفصل الثاني ٢٥
الأصول المحكمة المتعلقة بمفهوم أهل البيت وآل البيت في القرآن ٢٥
نسب الدم والطين ونسب الإيمان والدين ٢٨
قصة نوح والمعنى الشرعي لأهل نوح..... ٣١
وحدة الأصل البشري..... ٣٣
المعنى المحكم لآل البيت في القرآن بأنهم الأتباع: ٣٦
الآل في التشهد ٤٠
مفهوم أهل البيت وآل البيت في السنة النبوية:..... ٤٢
معيار التكريم والرفعة والعزة في القرآن التقوى والعلم والإيمان وليس النسب ... ٤٥
خيرية القرآن وعنصرية الشيطان ٤٨
الفصل الثالث: فهم الأدلة الفرعية (المتشابهة) المتعلقة بآل وأهل البيت في ضوء المحكم ٦١
حديث الكسا ٦٣
حديث العترة: ٦٩
قوله تعالى: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)..... ٧٤

مقدمة

ديننا الإسلامي العظيم دين عالمي الرسالة إنساني الوجهة والمنطلق أنزله الله رحمة للعالمين لإخراج الناس من ظلمات العبودية والاستبداد والظلم إلى نور الحرية والعدالة والمساواة.

ولكن دخل على ديننا الحنيف من تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين ما عكر صفو مبادئه وقيمه السامية لا سيما في عصور الانحطاط والتخلف، ولذلك يتوجب على علماء الإسلام ومفكري هذه الأمة كما تصدوا للتيارات الفكرية المادية والإلحادية التي حاولت النيل من الإسلام من خارجه أن يتصدوا أيضاً للأفكار والمفاهيم المغلوطة التي ضربت مقاصد الدين وشوهت تعاليم الإسلام من داخله.

ومن أخطر المفاهيم التي شوهت عالمية الإسلام ومقاصده الداعية إلى الحرية والمساواة والعدالة والشورى والوحدة تلك المفاهيم والأطروحات التي فسرت الإسلام تفسيراً عنصرياً جاهلياً عبر الادعاء بالحق الإلهي للولاية العامة في آل البيت.

فهذا هو القاسم المشترك بين الفرق والمذاهب الشيعية في الجملة على اختلافها في التفصيل وهو رفض مبدأ الشورى كأساس تقوم عليه الدولة الإسلامية والولاية العامة مع أنه أصل قرآني قطعي السند والدلالة بصريح القرآن ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، (الشورى: ٣٨).

وادعاء كافة هذه المذاهب والفرق الشيعية بالحق الإلهي للولاية العامة في الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه وأولاده من بعده بحجة أن الإمام علي وأولاده هم أهل بيت رسول

الله صلى الله عليه وسلم وآله وبالتالي فالإمامة والولاية العامة حق محتكر لآل بيت رسول الله وأهله محروم منها كافة المؤمنين الذين لا ينتسبون بزعمهم لآل البيت أو أهل البيت زاعمين أن العلم والتقوى غير كافية لتولي الولاية العامة والخلافة والسلطة السياسية الإسلامية بل لا بد من الأفضلية العنصرية.

هذا التأويل العنصري الاستعلائي الاستكباري للحقوق السياسية والاجتماعية في الإسلام هو ما ترتكز عليه المذاهب الشيعية المختلفة ابتداء من المذهب الهادوي المنتحل للإمام زيد ومروراً بالمذهب الاثنا عشري المنتحل للإمام جعفر الصادق وانتهاء بالمذهب الباطني الإسماعيلي المنتحل للإمام إسماعيل.

ولما كانت نظرية الإمامة والولاية القائمة على الحق الإلهي في مختلف المذاهب الشيعية ترتكز على أساس أفضلية آل بيت رسول الله وأهله من النسب والطين لا آله من الإيمان والدين رأيت مناقشة موضوع من هم آل البيت وأهل البيت في القرآن لتقويض هذه الخزعبلات الشيعية من أساسها، وصدق عالم اليمن وشاعرها الإمام نشوان بن سعيد الحميري القائل في بيان من هم آل البيت:

آل النبي هم أتباع ملّته من الأعاجم والسودان والعرب

لو لم يكن آله إلا قرابته صلى المصلي على الطاغي أبي لهب

ولا يخفى في هذا المقام للمتعمق في دراسة المذاهب الشيعية بأن التشيع في الحقيقة هو التأويل المجوسي للإسلام، فمن المعروف أن مجوس الفرس بعد سقوط الدولة الفارسية سياسياً وعسكرياً رفعوا شعار "عجزنا عن مقاتلتهم على التنزيل فسنقاتلهم على التأويل"، وقد أكد القرآن خطورة هذا التأويل بقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾، ويتعزز هذا الفهم لهذه الآية بأن المقصود بهذا التأويل هم المجوس بصورة خاصة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتن لموافقة متن الحديث لمتن الآية "سيكون من أمتي أناس يضربون القرآن بعضه ببعض ليبطلوه ويتبعون ما تشابه منه أولئك هم مجوس أمتي"، أخرجه ابن عساكر، وبقول الرسول صلى الله عليه وسلم "لكل أمة مجوس ومجوس أمتي القدرية" أي المنكرين للقدر، وفي لفظ "لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم"، حسن – صحيح الجامع للألباني.

وأكبر دليل على أن النظرية السياسية الشيعية القائلة بالحق الإلهي والرافضة لمبدأ الشورى نابعة من رؤوس مجوس الكوفة وجنوب العراق الذي يدعى تاريخياً عراق العجم هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح الذي أشار فيه إلى أن فتنة وقرن الشيطان وتسعة أعشار الشر ستأتي من العراق بقوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم بارك لنا في مكتنا اللهم بارك لنا في مدينتنا اللهم بارك لنا في شامنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا. فقال رجل: يا رسول الله! وفي عراقنا. فأعرض عنه فرددها ثلاثا كل ذلك يقول الرجل: وفي عراقنا فيعرض عنه فقال: بها الزلازل والفتن وفيها يطلع قرن الشيطان" وزاد في آخره "وبها تسعة أعشار الشر". (السلسلة الصحيحة للألباني).

ويتعزز هذا الفهم بفهم الإمام علي رضي الله عنه وأولاده الذين كانوا خير من جسّدوا معاني الإسلام فالإمام علي رضي الله عنه

الذي تربى في كنف الوحي الإلهي والرسول صلى الله عليه وسلم فَهِم الإسلام كما فَهِمه الصحابة وأهل السنة بأن الولاية العامة والخلافة تقوم على أساس الشورى لا نظرية الحق الإلهي المجوسية، والدليل القطعي على ذلك ما ورد في كتب الشيعة نفسها في نهج البلاغة المعتمد عند كل فرق الشيعة حيث قال: "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على إتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى"، (نهج البلاغة ج٣ ص٧).

وقول الإمام علي هذا له عدة دلالات هامة منها:

قناعته بشرعية الخلفاء من قبله.

تأكيده على أن الشورى هي الوسيلة الشرعية التي تقوم عليها الولاية العامة في المنظور الإسلامي وأن هذه الوسيلة "الشورى" هي لله رضا.

استنكاره لأي خارج على الولاية الشوروية ببدعة أو نهج يخالف هذا النهج بما فيها نظرية الإمامة والحق الإلهي المجوسية.

فهذا دليل قاطع على أن نظرية الحق الإلهي الرافضة لمبدأ الشورى القرآني لا علاقة لها بالإمام علي رضي الله عنه وإنما هي فكرة مجوسية لا علاقة لها بالإسلام، كما أن القول المشهور للإمام علي: "اعرف الحق تعرف أهله" يتناقض مع المذاهب الشيعية كافة القائمة على أساس "اعرف أهل البيت تعرف الحق" وهذه المقولة

للإمام علي وهو الفقيه والعالم استقاها من قوله تعالى ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف٣.

ونجد الإمام زيد بن علي رضي الله عنه يجسد نفس المعاني الإسلامية حيث كان يؤمن بأن الولاية تتم بالشورى ويقر كأبيه بشرعية ولاية الخلفاء الراشدين بدليل أنه عندما ذهب إلى العراق والتقى مجوس الكوفة رفض البراءة من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عندما طلب منه مجوس الكوفة ذلك وقال لهؤلاء المجوس "اذهبوا فأنتم الرافضة" فكان أول إمام سنّي يُطلق على الشيعة هذا اللقب "الرافضة"، وهكذا بذل الإمام زيد بن علي رضي الله عنه نفسه من أجل تزكية أبي بكر وعمر لأن الجيش المجوسي المحيط به تخلى عنه عندما رفض البراءة من الشيخين وتسبب ذلك في استشهاده دفاعاً عن الشيخين.

كما أن طلب مجوس الكوفة من الإمام زيد البراءة من الشيخين دليل آخر أن نظرية الحق الإلهي في الولاية العامة للإمام علي وأولاده قد نبعت من عند مجوس الكوفة لا من الإمام علي وأولاده رضي الله عنهم جميعاً الذين كانوا خير من جسّدوا معاني الإسلام كما أوضحت.

كما أن إصرار الفرس المجوس على هذه النظرية السياسية التي تحصر الحق السياسي في الإمام علي وأولاده - وهم أهل مطامع سياسية كما نعلم - تدل على أنهم انتحلوا هذا النسب العلوي بعد مقتل الإمام علي والإمام الحسين والإمام زيد ليصبح شعار آل البيت وأهل البيت هو الغطاء الشرعي للمطامع السياسية الفارسية

المجوسية، والمفترض أن الفرس المجوس يرفضون حصر الإمامة والولاية في العرب فضلاً عن الإمام علي وأولاده لو لم يفكروا في انتحال هذا النسب.

ويتعزز هذا الفهم بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ذكر فيه انتحال المبطلين أي انتحال النسب النبوي الكريم في قوله صلى الله عليه وسلم: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين". (صححه الإمام أحمد – الجامع الكبير للسيوطي)

وقد أكد علماء الإسلام هذا الانتحال المجوسي للنسب العلوي من ذلك نسب عبيد الله المهدي مؤسس الدولة العبيدية في المغرب والفاطمية في مصر حيث ذكروا أن عبيد الله المهدي مجوسي انتحل النسب العلوي كذباً وزوراً.

وصدق شاعر اليمن أبو الأحرار الشهيد محمد محمود الزبيري عندما قال:

حاشا لله أن يكونوا لطه — بل وحاشا أن ينتموا ليزيد
لو يصح انتسابهم لعلي — كرّم الله وجهه في الخلود
لاقشعرت دماؤهم من حياء — وأبت أن تجري لهم في وريدِ

وليس أدل على أن هؤلاء الرافضة المجوس أهل ضلال وانحراف عن جوهر الإسلام من تشكيكهم في أصول الوحي الإلهي قرآناً وسنة من خلال الطعن في القرآن عبر الزعم بأنه قد بُدّل وحُرّف وطعنهم في السنة النبوية وتكفيرهم وطعنهم في الصحابة رضوان الله عليهم الذين زكاهم صريح القرآن بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم

بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾، التوبة١٠٠، والطعن في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وعرض رسول الله وتأويلهم للعقيدة الإسلامية تأويلاً إلحادياً عبر إنكار ذات الله وصفاته تحت شعار التنزيه وتأويلهم للشريعة الإسلامية تأويلاً طاغوتياً عبر نظرية الحق الإلهي المجافية لمبدأ الشورى الأصل القرآني القطعي.

فماذا بقي من الإسلام بعد هذه المطاعن المجوسية الرافضية في أهم مقاصده وأسسه.

وفي هذا السياق سأبين حقيقة آل البيت بأنهم الأتباع قِيَماً وديناً لا نسباً وطيناً وسأحشد بإذنه تعالى الأدلة المتواترة القاطعة الدلالة من القرآن والسنة لهدم بيت العنكبوت.. البيت المجوسي الخبيث المنتحل للبيت النبوي الطيب كذباً وزوراً وصدق الله العظيم القائل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾، العنكبوت٤١، والقائل: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾،آل عمران١٧٩.

وصدق شيخ الإسلام الإمام محمد بن علي الشوكاني عندما قال:

الذنب لي عند أهل الرفض كلهم.. أني لهدم بيوت الرفض أحتشد

والقائل:

قبيح لا يماثله قبيحُ لعمر أبيك دين الرافضينا
أباحوا في علي كل نكرٍ وأخفوا من فضائله اليقينا
وسبّوا لا رُعُوا أصحاب طه وعادَوا من حذاهم أجمعينا
وقالوا دينهم دين قويمٍ ألا لعن الإله الكاذبينا

الفصل الأول

المنهجية الصحيحة

للفهم والاستدلال

قبل أن أشرع في المناقشة الموضوعية للأدلة الشرعية لموضوع من هم آل البيت وأهل البيت لا بد ابتداء من الاتفاق على المنهجية الصحيحة للفهم والاستدلال لأن الأزمة المعرفية التي تعاني منها العقلية الإسلامية اليوم هي أزمة منهجية تولّد عنها أزمة معرفية تولّد عنها أزمة تصورية، وهذه الصدوع التي تعرضت لها العقلية الإسلامية هي نتاج الهجمة التأويلية والمعرفية المجوسية واليهودية.

تولد عن هذه الهجمة الشرسة ما يمكن تسميته بالعقلية النصية الجزئية لا الكلية ونقصد بهذه العقلية: العقلية البسيطة غير القادرة على الفهم التحليلي الاستنباطي التركيبي العقلية التي تستخدم ملكة الحفظ أكثر من ملكة الفهم ولذلك نجدها تتعامل مع النصوص الشرعية بطريقة مجزأة كنصوص وليس كمواضيع، في حين أن المنهجية الصحيحة لفهم القرآن والسنة هي البحث فيهما كمواضيع وليس كنصوص مجزأة بجمع كل نصوص الموضوع الواحد في وحدة موضوعية واحدة مع التمييز بين مراتب الأدلة موضوع الاستدلال إحكاماً وتشابهاً، يقيناً وظناً، قوة وضعفاً، أصولاً وفروعاً ،كليات وجزئيات، سنداً ومتناً، عاماً وخاصاً، مجملاً ومقيداً.

وحتى نصل إلى هذه المعالم المنهجية لا بد من الاتفاق على هذه القواعد المنهجية للفهم والاستدلال على النحو التالي:

لفهم نصوص الوحي فهماً لا يخل بوحدتها الموضوعية لا بد من الربط بين مقاصد الشريعة وكلياتها وجزئياتها ربطاً يؤدي إلى تساوق وتوافق هذه المحاور وتولد بعضها عن بعض لا فهماً يضرب بعضها ببعض ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ النساء٨٢.

وللوصول إلى هذا الفهم الذي يربط بين المقاصد والكليات والجزئيات ربطاً متوافقاً غير متخالف لا بد أن تكون المقاصد العامة للإسلام واضحة أمام العالِم.

بعد تحديد المقاصد العامة للإسلام يتم البحث في أصول وكليات المعاني القرآنية "المحكمات" قبل الفرعيات والجزئيات "المتشابه" وحتى نصل إلى هذا الفهم لا بد من البحث في نصوص الوحي كموضوعات وليس كنصوص مجزأة فأبحث على سبيل المثال موضوع الولاية العامة والخلافة أو موضوع آل البيت كموضوع كلي.

وفي هذا السياق يتم جمع كافة النصوص الواردة في القرآن والسنة المتعلقة بالموضوع ثم فهمها فهماً متوافقاً كوحدة موضوعية واحدة يفسر بعضها بعضاً لا فهماً متضارباً متعارضاً بين نصوص الموضوع الواحد.

بعد جمع أدلة الموضوع الواحد يجب التفريق بين أصول معاني الموضوع "المحكمات" وفروعه "المتشابهات" لأن لكل علم وموضوع قواعد وأصول وجزئيات وفروع ولا يمكن الوصول إلى الفهم المحكم لأدلة الموضوع الواحد إلا إذا تم تحديد أصول الموضوع أولاً ثم تركيب فروع الموضوع على أصوله لأن منشأ التشابه يأتي من الاستشهاد بالأدلة الفرعية قبل أصولها.

بعد البحث الكلي عن موضوع معين في القرآن والفراغ من تحديد أصوله وفروعه أقوم بعرض هذا الموضوع الكلي على المقاصد العامة للتأكد من عدم فهم هذا الموضوع بما يعارض المقاصد العامة.

لا بد من التفريق بين نصوص الوحي كتاباً وسنة من حيث حجيتها وبين فهوم العلماء لها، فالقداسة إنما هي ثابتة للوحي المعصوم قرآناً معصوماً وسنة معصومة بالقرآن، أما فهوم العلماء فهي عرضة للخطأ

في الفهم بحكم بشريتهم وعرضة للتأثر والتأطر بخصوصية الواقع الظرفي زماناً ومكاناً وبالتالي فلا يمكن سحب قداسة الوحي على فهومهم، ولا تبرز حجيتها إلا بإسناد فهمهم بدليل من الكتاب والسنة لقوله تعالى ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف٣، وقوله تعالى ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ القصص٥٠.

في إطار نصوص الوحي لابد من التفريق بين ما هو نص قرآني ونص لحديث نبوي فالقرآن مقدم في الاعتبار على السنة النبوية سنداً ومتناً لأن القرآن قطعي يقيني والسنة النبوية الصحيحة الأحادية باستثناء المتواترة ظنية كما قرر ذلك علماء الحديث والفقه.

ونصوص السنة الأحادية الصحيحة السند متفق على العمل بها ما لم تصادم وتخالف وتناقض نصوص القرآن ومقاصد الشريعة، وعند حدوث التعارض بين نصوص القرآن ونصوص السنة يتم العمل بالمبدأ الأصولي المعروف "مبدأ التعارض والترجيح" أي العمل بقاعدة الموازنة بين الأدلة والترجيح أي نسعى للتوفيق بين نص الحديث ونص القرآن ولو أدى الأمر كما يقول علماء الأصول إلى الأخذ بالمفهوم المرجوح وترك المفهوم الراجح للحديث النبوي ليوافق النص القرآني فإن استحالت عملية الترجيح تم رد الحديث المعارض للقرآن كما قرر ذلك علماء الأصول على رأسهم الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات وكيف أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ردت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح السند الضعيف المتن "إن الميت ليعذب ببكاء أهله" لتعارضه مع قوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ وكما قرر ذلك علماء الحديث على

رأسهم الإمام البخاري حيث أورد في صحيحة أن عائشة ردت هذا الحديث لتعارضه مع القرآن بالرواية التالية "فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُهَيْبٌ يَبْكِي يَقُولُ وَا أَخَاهُ وَا صَاحِبَاهُ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا صُهَيْبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ قَالَ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَقَالَتْ حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، قَالَ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ ﴿هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾، (٥)(٣٣).

وقد أكد الشيخ الألباني المحدث المعاصر الشهير في كتابه "الآيات البينات في عدم سماع الأموات" بأن صحة السند لا تستوجب صحة المتن وأن هذه قاعدة مشهورة عند علماء الحديث بقوله "المقرر في علم مصطلح الحديث أن صحة الحديث لا يستلزم صحة المتن لعلة فيه خفيه أو شذوذ من أحد رواته".

وذكر ابن القيم في كتابه "المنار المنيف في الصحيح من الضعيف" أموراً كليه يعرف بها كون الحديث موضوعاً منها مخالفة الحديث لصريح القرآن.

وقد جاء ابن القيم بأمثلة كثيرة منها:

- مقدار الدنيا "٧٠٠٠" سنة وهذا يُخالف القرآن ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ الأعراف١٨٧.

- لا يدخل الجنة ولد الزنا. وهو يُخالف: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، الأنعام١٦٤

وقال ابن الجوزي "إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع" (الموضوعات لابن الجوزي- تدريب الراوي للسيوطي ٢٧٤).

وأنا أوافق ابن الجوزي في مخالفة الحديث للمنقول أي القرآن ولا أوافقه في مخالفة المعقول بشكل مطلق لأن مخالفة المعقول أمر نسبي من إنسان إلى آخر فقد يتوهم المرء مخالفة الحديث للمعقول وهو غير مخالف إلا ما ثبت قطعياً في مخالفة المعقول على ضوء القاعدة التي قررها ابن تيميه رحمه الله في أن صحيح العقل لا يتعارض مع صحيح النقل.

كما أنه من المعلوم أن الإمام مالك رضي الله عنه الفقيه والمحدث المعروف صاحب كتاب "الموطأ" كان يقدم عمل أهل المدينة على خبر الآحاد فضلاً عن تقديم المعنى القرآني على الحديث النبوي الآحادي إذا تعارض معه وإلى هذا المعنى أشار ابن تيمية بقوله: "وَلَا تُعَارَضُ السُّنَّةُ بِإجماع وَأَكْثَرُ أَلْفَاظِ الْآثَارِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَالطَّالِبُ قَدْ لَا يَجِدُ مَطْلُوبَهُ فِي السُّنَّةِ مَعَ أَنَّهُ فِيهَا وَكَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ فَيَجُوزُ لَهُ إذَا لَمْ يَجِدْهُ فِي الْقُرْآنِ أَنْ يَطْلُبَهُ فِي السُّنَّةِ وَإِذَا كَانَ فِي السُّنَّةِ لَمْ يَكُنْ مَا فِي السُّنَّةِ مُعَارِضًا لِمَا فِي الْقُرْآنِ وَكَذَلِكَ الْإِجماع الصَّحِيحُ لَا يُعَارِضُ كِتَابًا وَلَا سُنَّةً"، مجموع الفتاوى (٤)(٢٠٨).

الفصل الثاني:

الأصول المحكمة المتعلقة بمفهوم أهل البيت وآل البيت في القرآن

بعد بيان معالم منهج الاستدلال والفهم للوحي وأهمية الصدور في التعامل مع نصوص الوحي عن رؤية كلية شمولية تدخل جزئيات الشريعة ضمن كلياتها وتدرج كليات الشريعة تحت مقاصدها ليتشكل من هذا الترابط نسيج محكم يتحقق من خلاله التوافق الموضوعي للنصوص، وبيان محاذير الاستدلال المجزأ للنصوص الذي قد يؤدي إلى تعارض النصوص بعضها مع بعض وإلى فهم بعض النصوص الجزئية فهماً سطحياً مباشراً يطوّح بمقاصد الدين وغاياته ومراميه.

لنحاول انطلاقاً من هذه المنهجية فهم النصوص المتعلقة بموضوع آل البيت في القرآن والسنة بما يؤدي إلى إبراز هذا الموضوع في وحدة موضوعية متكاملة عبر طرح المحكم في هذا الموضوع وأمهات المعاني ثم مناقشة الأدلة الفرعية في ضوء الأصول المحكمة، وإذا حصل أي تعارض بين الأدلة الفرعية والأصول المحكمة أعملنا القاعدة الأصولية "قاعدة التعارض والترجيح" لإيجاد التوافق بين نصوص السنة ونصوص القرآن المحكمة ومالم فالاعتبار يكون للنصوص القرآنية المحكمة على النحو التالي:

نسب الدم والطين ونسب الإيمان والدين

من المعلوم أن كلمة بيت وأخ وأب وأم وآل وأهل وعترة تطلق في الاستخدام اللغوي والعرفي ويقصد بها نسب الدم والطين، لكن المتدبر في القرآن والسنة سيجد أن القرآن قد استخدم هذه المصطلحات "بيت – أخ – أب – أم – آل – أهل" استخداماً شرعياً ترتب على هذا الاستخدام القرآني نسب وآصرة دينية لا نسب وآصرة طينية بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فهذه الآية صريحة الدلالة في اعتبار المؤمنين أخوة ديناً مع أن المألوف أن هذا التعبير "أخ" لا تطلق إلا على الأخوة من القرابة والدم لا من الإيمان والقيم، ولم يكتفي القرآن بالتأكيد على أن المؤمنين أخوة وإنما أطلق على نساء النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين بصريح قوله تعالى ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ وبهذا يمكننا القول بأننا أمام معادلة كالمعادلة الرياضية فنقول "ما دام المؤمنون أخوة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهاتهم إذاً فالنبي صلى الله عليه وسلم أبو المؤمنين أبوة دينية لا طينية" ويتعزز هذا الفهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم أبو المؤمنين ديناً لا طيناً بقوله تعالى ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾، الأحزاب٦، فصريح القرآن جعل النبي صلى الله عليه وسلم ولي أمر المؤمنين، فكأن المقصود بالتعبير هذا هو تقرير أبوة محمد صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ويتعزز هذا الفهم بمنهجية تفسير القرآن بالقرآن بقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾.

ومن المعلوم أن الأب في إطار الأسرة يسمى ولي الأمر ورب البيت، فكلمة "أب – وولي – ورب البيت" تطلق في اللغة العربية بمعاني مترادفة، ويتعزز هذا الفهم بقوله تعالى في سياق إبراهيم عليه السلام عندما إدعى اليهود أنهم آل بيته دماً وطيناً فجاء القرآن وردّ على اليهود بأن أولى الناس بإبراهيم هم محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وليس اليهود في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، آل عمران٦٨، فقوله تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ مطابقة لقوله تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾.

ولما كان القرآن قد أطلق على إبراهيم صفة الأبوة للمسلمين "أبوة الدين لا أبوة الطين" في قوله تعالى ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾، فهذه آية قرآنية تدل على أن المقصود بالمصطلح القرآني "أولى" في سياق إبراهيم و"أولى" في سياق محمد صلى الله عليه وسلم أبوة الدين لا أبوة الطين.

وبهذا نخلص إلى معنى هام وهو أن كلمة أهل وآل إذا كانت في المصطلح اللغوي والعرفي تطلق على نسب الطين إلا أن القرآن في المصطلح الشرعي قد نقل آصرة النسب من الطين إلى الدين فاعتبر المؤمنين أخوة وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم أمهاتهم والنبي صلى الله عليه وسلم أبوهم ديناً لا طيناً.

وبهذا يتضح أن أهل البيت وآل البيت في المنظور القرآني هم المنتسبون إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ديناً "المؤمنون" لا المنتسبون للرسول صلى الله عليه وسلم طيناً "بني هاشم".

ويتعزز هذا الفهم بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، (المؤمنون:١٠١).

فهذه الآيات البينات أكدت أن معيار الحساب يوم القيامة هو العمل الصالح لا الأنساب ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، وقد يقول قائل أن هذه الآية النافية للأنساب هي في الآخرة وليس في الدنيا فنقول لهم الآية في هذا الموضع تتحدث عن الحساب يوم القيامة وحساب يوم القيامة إنما هو محصلة لأعمال الناس في الدنيا إن خيراً فخير وإن شراً فشر بدليل قوله تعالى ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، الأعراف٨. ويتأكد هذا الفهم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم" وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي "يقول الله يوم القيامة أيها الناس إني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت أكرمكم عند الله أتقاكم فأبيتم إلا أن تقولوا: فلان بن فلان وفلان أكرم من فلان وإني اليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم ألا إن أوليائي المتقون" (المعجم الصغير – الطبراني).

وحديث الرسول –ص– الصحيح عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قال "كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ قَالَ هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ" (رواه أبو داود وأحمد وصححه الألباني).

قصة نوح والمعنى الشرعي لأهل نوح

ويتعزز الفهم السالف لمفهوم أهل البيت في المنظور القرآني إلى درجة القطع في قصة نوح عليه السلام بقوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ هود.

فنجد صريح القرآن في هذا السياق يؤكد بدلالة قطعية مفهوم أهل البيت في القرآن بأن أهل البيت هم المنتسبون للأنبياء ديناً وعملاً صالحاً وإيماناً لا المنتسبون دماً وعرقاً وسلالة، فمن المعلوم أن ابن نوح من أهله دماً في الاستخدام المتعارف عليه عند الناس وفي اللغة ولكن القرآن ينفي هذه الصفة عنه بقوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ ودليل النفي في هذا المقام أقوى من دليل الإثبات، وزيادة في التحذير القرآني جاء قوله تعالى ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

وبهذا نفهم أن كل من أثبت معنى أهل البيت بنسب الطين ونفى نسب الدين قد قال في هذا الأمر بغير علم، ثم يشدد القرآن على نوح بقوله تعالى ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وكلمة الجاهلين في هذا السياق تتجاوز معنى الجهل إلى معنى الجاهلية أي أهل الجاهلية، وأهل الجاهلية هم أهل العصبية الجاهلية الذين

قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأحاديث صحيحة "ليس منا من دعا إلى عصبية" "دعوها فإنها منتنة".

وحدة الأصل البشري

الزاعمين بأحقيتهم بالولاية بدعوى أن لهم نسب يرتبط بالنبي صلى الله عليه وسلم نرد عليهم بدليل قطعي قرآني وهو التأكيد الإلهي في القرآن بأن البشرية تتحدر من أصل واحد فكل البشرية تعود بجذورها إلى أبينا آدم عليه السلام أي أن البشرية في المنظور القرآني ليسوا أمة واحدة وشعباً واحداً فحسب بل هم أسرة واحدة وبيت واحد بيت آدم عليه السلام والأدلة القرآنية المؤكدة بأن البشرية تتحدر من أصل واحد ونفس واحدة هي قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، النساء١، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾، الأنعام٩٨، وقوله تعالى ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، الزمر٦، فهذه الآيات البينات أكدت بدلالة قطعية وحدة الأصل البشري فكلهم يرجعون لآدم عليه السلام.

ولذلك نجد القرآن في خطابه للبشرية يستخدم هذا النداء ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾، تأكيد لهذه المعاني من ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، يس٦٠، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، الإسراء٧٠.

ومن هذا المنطلق نقول أن الزاعمين بأحقيتهم في الولاية بدعوى النسب المرتبط بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم مردود عليهم بقاعدة وحدة الأصل البشري وأن كل البشرية ينتسبون إلى أبينا آدم عليه الصلاة والسلام فإذا كان للانتساب بالرسل ميزة فهذه الميزة يشترك فيها كل البشر مسلمهم وكافرهم فكل البشرية هم آل آدم وأهل بيته عليه الصلاة والسلام وآدم هو نبي الله ورسوله، وبهذه الحقيقة القرآنية القاطعة تنقطع دعوى كل لسان يدعي الأفضلية العنصرية بالتحدر من سلالة نبي ورسول والزعم بأنها سلالة مقدسة والآخرين سلالة مدنسة وأن هذه السلالة المقدسة هي سادة البشر لهم السلطة والعلم والثروة، وأن بقية البشر خلقوا لهم عبيداً وخدماً.

ونجد السنة النبوية مطابقة للقرآن في التأكيد على وحدة الأصل البشري وأن معيار التفاضل ليس قائم على الأنساب بل على التقوى في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "يا أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى" رواه الإمام البيهقي، من حديث جابر رضي الله عنه.

وكذلك روى أحمد في المسند (٢ /٣٦١ ح٨٧٢١) عن أبي هريرة بلفظ: "إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي والناس بنو آدم وآدم من تراب لينتهين أقوام فخرهم برجال أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن"..

والحديث القدسي الذي أوردناه سابقاً "يقول الله يوم القيامة أيها الناس إني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت أكرمكم عند الله أتقاكم فأبيتم إلا أن تقولوا: فلان بن فلان وفلان أكرم من فلان وإني اليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم ألا إن أوليائي المتقون".

فكل هذه الأحاديث أكدت وحدة الأصل البشري وأفضلية التقوى، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "وإني اليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم ألا إن أوليائي المتقون" تأكيد لما أسلفته من أن هناك نسب دين ونسب طين.

المعنى المحكم لآل البيت في القرآن بأنهم الأتباع:

لو تدبرنا القرآن لوجدنا المعاني القرآنية تتواتر في تقرير وتأكيد نسب الدين وإلغاء نسب الطين من ذلك مصطلح آل البيت فهو يرد في القرآن بمعنى الأتباع من المؤمنين وليس بالمعنى السلالي العنصري:

ففي سياق ادعاء اليهود بأنهم آل إبراهيم سلالة وعرقاً ناقش القرآن هذه الدعوى ونفى أنهم آل إبراهيم مع أنهم من سلالته فعلاً وقرر أن أولى الناس بإبراهيم هم أتباعه من المؤمنين على رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم بما يؤكد بدليل قرآني قطعي أن الآل هم الأتباع في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، آل عمران٦٨، فقوله تعالى ﴿ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾، دليل قطعي قرآني بأن آل إبراهيم وأولى الناس به هم أتباعه من المؤمنين لا اليهود المنتسبون إليه دماً وعرقاً، وصدق عالم اليمن الجليل نشوان بن سعيد الحميري عندما قال:

آل النبي هم أتباع ملته
من الأعاجم والسودان والعرب

لو لم يكن آله إلا قرابته
صلى المصلي على الطاغي أبي لهب

- ويتعزز هذا الفهم بأن الآل في القرآن تأتي بمعنى الأتباع بمنهجية تفسير القرآن بالقرآن بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾، {٣٤}).

فالآل هنا وردت بمعنى أتباع لوط من المؤمنين لأن النجاة في المعيار القرآني لا تكون إلا للمؤمنين الأتقياء، ولأننا إذا تتبعنا السياق الموضوعي لمن يستحقون النجاة سنجد الآيات تتوالى وتؤكد أن النجاة لا تكون إلا للمؤمنين الأتقياء لقوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، النمل٥٣، وقوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، هود٥٨، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾، هود٦٦.

و إذا كانت الآيات في قصة نوح قد أثبتت أن الأهل هم أهل الإيمان والعمل الصالح وفي قصة إبراهيم أن الآل هم أيضاً الأتباع من المؤمنين، فإن قصة لوط قد جمعت بين المعنيين الآل والأهل بمعنى المؤمنين ونسب الدين لا نسب الطين في قوله تعالى: ﴿۞فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾، {٥٧} النمل.

ففي هاتين الآيتين نجد دلالة قطعية بأن الآل هنا المقصود بها الأتباع من المؤمنين للوط، ثم نجد الآية التي تليها تستخدم مصطلح

الأهل بمعنى الآل وفي كلا المعنيين المقصود هم المؤمنين المتطهرين.

ويتعزز هذا الفهم باستثناء زوجة لوط مع أنها من أهله صهراً لأن عملها غير صالح.

فالقرآن الذي أكد أن ابن نوح ليس من أهله ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾، أكد أن زوجة لوط ليست من أهله لأن عملها غير صالح ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾، الأعراف٨٣.

ويتعزز هذا الفهم بأن زوجة لوط عملت عملاً غير صالح بمنهجية تفسير القرآن بالقرآن بقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾، التحريم ١٠.

ويتعزز هذا الفهم بمنهجية تفسير القرآن بالقرآن باستخدام القرآن لمصطلح الآل في سياق فرعون فمن المعلوم أن فرعون لم ينجب وزوجته كانت امرأة صالحة ومع هذا استخدم القرآن مصطلح آل فرعون في سياق أتباعه من جنوده بأدلة قرآنية صريحة قطعية الدلالة من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، البقرة٤٩، فصريح القرآن استخدم كلمة آل فرعون مع أن فرعون ليس له أولاد وإنما جنود وأتباع.

والذي يؤكد أن المقصود بآل فرعون أتباعه وجنوده بمنهجية تفسير القرآن بالقرآن قوله تعالى ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾، البقرة٥٠، فهذه الآية أكدت أن آل فرعون أغرقوا في البحر والدليل بأن الذين أغرقوا في البحر جنوده بمنهجية تفسير النص بالنص قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾، طه٧٨، فهذه دلالة قطعية بأن آل فرعون هم جنوده وأتباعه.

ويتعزز هذا الفهم بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: من آل محمد؟ قال: "كل تقي" وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ فهذا الحديث وإن ضعف سنده إلا أنه صحيح المتن لأنه تعزز بقوة النص القرآني فإذا كان الحديث يتعزز عند علماء الحديث بروايته من طرق أخرى فيقولوا صحيح لغيره أفلا يتعزز متن الحديث بالنص القرآني، وكذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "سلمان منا آل البيت" مع أن سلمان رضي الله عنه فارسي الأصل إلا أنه انتسب لبيت النبوة ديناً لا طيناً، وهنا تبرز عظمة الإسلام الذي جمع بين صهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي وأبو بكر الصديق العربي على خيرية القيم والدين لا خيرية النسب والطين.

وقد رجح هذا الرأي بأن الآل هم الأتباع الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم حيث قال ما نصه: "واختلف العلماء في آل النبي صلى الله عليه وسلم على أقوال أظهرها وهو اختيار الأزهري وغيره من المحققين أنهم جميع الأمة".

الآل في التشهد

ما المقصود بقولنا في التشهد "اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم":

أقول إن المتدبر للقرآن سيجد أن معنى الآل الوارد في سياق الصلاة على النبي الذي نردده في التشهد الأوسط عند كل صلاة هم المؤمنين وليس المقصود بآل محمد صلى الله عليه وسلم بني هاشم.

والدليل القرآني القاطع هو قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾، الأحزاب، فهذه الآية وجهت الخطاب بدلالة صريحة قطعية للمؤمنين بقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ولم يتوجه الخطاب القرآني يا بني هاشم، وفي سياق ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ جاء قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾، ، إذاً فالصلاة من الله والملائكة هي للمؤمنين وليست لبني هاشم ويتعزز هذا الفهم بقوله تعالى ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، ولم يرد في الآية وكان الله ببني هاشم رحيماً.

فهذه دلالة قطعية قرآنية أن قولنا "اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم" أن المقصود بالآل هنا هم المؤمنون أي الأتباع من المؤمنين وليس آل محمد نسباً وعرقاً وعصبية.

وعلى الرغم من أن الآية السالفة كافية في بيان معنى الآل في التشهد وقطعية الدلالة، إلا أنني سأؤكد هذا المعنى من زاوية أخرى وهي أننا لو افترضنا أن المقصود بالآل السلالة والعرق فإن معنى التشهد عندئذ سيصبح على النحو التالي "اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد" آل محمد بني هاشم برهم وفاجرهم، وقولنا: "كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم" فإن آل إبراهيم هنا هم اليهود وبهذا التفسير العنصري لمعنى الآل سيكون معنى التشهد أن المؤمنين قد خرجوا من هذا الدعاء وأنهم يلهجون بالدعاء لبني هاشم برهم وفاجرهم ولبني إسرائيل المغضوب عليهم ومثل هذا الفهم يصادم ثوابت القرآن والسنة.

ويتعزز هذا الفهم بأن المقصود بآل إبراهيم بني إسرائيل إذا فهمنا الآل بمعنى عرقي ما ورد في القرآن من رد في سياق اليهود الزاعمين أنهم آل إبراهيم بقوله تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، آل عمران٦٨، فقد نفت الآية ارتباط اليهود بإبراهيم مع أنهم من نسله وأثبتت أن أولى الناس به وآله هم أتباعه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

مفهوم أهل البيت وآل البيت في السنة النبوية:

بعد إيرادي للأدلة القرآنية المتواترة القطعية الدلالة لا الظنية سأستشهد بأحاديث من السنة النبوية مؤكدة للمعاني القرآنية السالفة مع العلم أن القرآن مقدم في الاعتبار على السنة فإذا وردت أدلة من السنة موافقة له تعززت هذه المفاهيم بالقرآن والسنة ولا بد من الإشارة في هذا المقام أننا عندما نورد دليلاً من السنة ويكون هذا الدليل موافقاً لمعنى موجود في القرآن فإن دليل السنة يتعزز بقوة النص القرآني فإذا كان الحديث حسن السند أو ضعيف السند وجاء متنه مطابق لنص قرآني فإن الحديث يصبح صحيحاً لغيره، لأنه إذا كان علماء الحديث يعززون صحة الحديث إذا كان ضعيفاً أو حسناً إذا وردت رواية أخرى صحيحة مؤكدة لمعنى الحديث الضعيف فيطلقون على الحديث الضعيف المعزز برواية أخرى صحيح لغيره، فإنه من باب الأولى أن يتعزز متن الحديث الصحيح أو الحسن أو الضعيف بمتون النصوص القرآنية.

وسأورد في هذا المقام أحاديث صحيحة السند موافقة لمتون النصوص القرآنية على النحو التالي:

١- يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح "إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي وإن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا، اللهم إني لا أحل لهم فساد ما أصلحت وأيم والله ليكفئون أمتي عن دينها كما يكفأ الإناء في البطحاء" إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات -تحقيق الألباني-
.

ولو تدبرنا معنى هذا الحديث الصحيح السند الصحيح المتن لموافقته للنصوص القرآنية السالفة لوجدناه يؤكد عدة معاني هامة:

أ. أنه وإن كان أهل البيت من النسب والطين إلا أن أولى الناس بالرسول صلى الله عليه وسلم هم المتقون وهذا تأكيد من السنة الصحيحة إلى أن أولى الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم هم المتقون وأن أهل بيته وآله هم المتقون.

ب. الحديث لم يكتفي بتقرير مفهوم أهل البيت وآله في المتقين من كانوا وحيث كانوا بل وصف الزاعمين بأنهم أولى الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالتالي لهم حق احتكار الولاية والسلطة والثروة والعلم وصف الرسول صلى الله عليه وسلم المدعين هذا الادعاء بأنهم سيفسدون ما أصلحه من تقرير قاعدة المساواة بين الناس وأن أكرم الناس هم المتقون وليسوا بني هاشم وأن المتقون هم الأولى بالحقوق السياسية والاجتماعية من الذين يفسرون الدين تفسيراً عنصرياً، فوصفهم بأنهم سيفسدون ما أصلحه. دليل قوي على إدانة الرسول صلى الله عليه وسلم لمثل هذا التأويل العنصري للدين.

ت. ولم يكتفي هذا الحديث النبوي بوصف الزاعمين أنهم أولى الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم نسباً وطيناً بأنهم سيفسدون ما أصلحه عبر تقرير الرسول صلى الله عليه وسلم لمساواة الناس في الحقوق السياسية والاجتماعية بل وصفهم بأنهم سيخرجون

الناس عن حقيقة دينهم كما يكفأ الإناء في الصحراء، فماذا سيقول دعاة التأويل العنصري للدين بعد هذه المحكمات من القرآن والسنة وهذا الحكم الصادر عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيه إدانة خطيرة.

٢- حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "فتنة السراء دخنها من تحت قدم رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني وإنما أوليائي المتقون" حديث صحيح صححه الألباني في سلسلته الصحيحة (صحيح الجامع) رقم(٤١٩٤).

فهذا الحديث الصحيح يؤكد بجلاء مفهوم أهل البيت بنفس المفهوم الوارد في القرآن بأن أهل بيت رسول الله هم المتقون ولم يكتفي بذلك بل أنكر مفهوم أهل البيت بالنسب والطين "يزعم أنه مني وليس مني".

ولم يكتفي الحديث بذلك بل وصف التأويل العنصري للإسلام بأنه فتنة بنفس الوصف القرآني لأهل الزيغ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾،

معيار التكريم والرفعة والعزة في القرآن هو التقوى والعلم والإيمان وليس النسب:

لو تدبرنا هذه المعاني القرآنية الهامة "التكريم – الرفعة – العزة" لوجدناها في القرآن قائمة على أساس التقوى والعلم والإيمان وهي معايير كسبية يمكن للناس أن يتسابقوا على تحصيلها.

ولم يجعل القرآن معايير التكريم والرفعة والعزة معايير قسرية ترتبط بالنسب أو اللون أو العرق أو القوم والوطن فليس بيد الإنسان أن يحدد عرقه أو لونه أو قومه، ولذلك لم يجعل الله من عدالته هذه المعايير القسرية "العرق – اللون – الوطن – القوم" معياراً للتكريم والرفعة والعزة:

معيار التكريم في القرآن:

التكريم في القرآن تكريمان تكريم فطري وتكريم شرعي.

فالتكريم الفطري جعله الله لكافة بني آدم بتكريمهم بالعقل والإرادة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، الإسراء٧٠، فهذه الآية بدلالة صريحة فيما يتعلق بالتكريم الخلقي أوضحت أن الله قد جعل الكرامة لكافة بني البشر لكن التفسير العنصري الشيعي والتفسير العنصري اليهودي قد حصر التكريم الخلقي في بني إسرائيل وبني هاشم.

أما التكريم الشرعي المطابق للفطرة فقد جعله الله معياراً كسبياً لا قسرياً وهو معيار التقوى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، الحجرات١٣.

كما صرح القرآن برفض التكريم القائم على الأساس العنصري من خلال إسناد الخلافة لآدم في الأرض ونزعها عن الشيطان عندما استكبر ورفض القرار الإلهي بتعيين آدم خليفة في الأرض بدعوى أفضليته العنصرية كون آدم خلق من طين والشيطان من نار في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾، الإسراء٦٢.

مفهوم الرفعة في القرآن:

بحسب التأويل العنصري الشيعي للإسلام يصبح مفهوم الرفعة في القرآن خاص ببني هاشم وآل البيت وقائم على أساس النسب والهبوط والذلة لغيرهم.

لكننا نجد معيار الرفعة في القرآن درجات والهبوط دركات مرتبط بمعايير كسبية يمكن أن يتسابق الناس عليها وهي الإيمان والعلم والعمل الصالح لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، المجادلة١١، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، فاطر١٠، فنظام الخدمة المدنية في القرآن له درجات وله دركات وهذه الدرجات والدركات ليست قائمة على

أساس عنصري وإنما على أساس إيمان وعلم وتقوى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾، الأنعام١٦٥.

معيار العزة في القرآن:

العزة والذلة في القرآن قائمة على أساس الإيمان والعمل الصالح وليس على أساس عنصري لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، فاطر١٠، وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، المنافقون٨، فصريح هذه الآيات جعل العزة للمؤمنين وليس لبني هاشم أو سلالة ونسب معين، وجعل معيار هذه العزة والرفعة الطيّب من الأقوال والأفعال وليس الطيب نسباً.

خيرية القرآن وعنصرية الشيطان

إن المتدبر للقرآن سيدرك أنه لم يكتفي بجعل أساس الخلافة في الأرض هو الإيمان والعمل الصالح بل النهي القرآني الصريح عن أي نظام سياسي أو ولاية عامة أو خلافة تقوم على أساس عنصري سلالي استكباري إستعلائي بحيث يحتكر الخلافة والولاية العامة على أساس الأفضلية العنصرية ويقسم المجتمع إلى طبقتين:

- طبقة السادة المستكبرين.
- طبقة العبيد المستضعفين.

هذه المعاني يمكن فهمها بجلاء من خلال قصة آدم واستخلافه في الأرض وموقف الشيطان من هذا الاستخلاف هذه القصة التي أخذت مساحة واسعة في القرآن لنأخذ منها الدروس والعبر في سياق الخلافة والحقوق السياسية والولاية العامة على النحو التالي:

لو تأملنا في قصة إبليس وآدم عليه السلام لوجدنا أن غضب الله على الشيطان وطرده من رحمته لم يكن بسبب كفره بالله بل بسبب كبره واعتداده بأصله وعنصره ونسبه وقد اعتبر الله الكبر المتولد عن النزعة العنصرية والافتخار بالنسب سبباً لكفر إبليس.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾، (البقرة:٣٤).

ولو بحثنا عن سبب كبره لوجدناه كبراً يرتبط بدعوى أفضلية الأصل والعرق والافتخار بالنسب والمحتد: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ

فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾، (الأعراف: ١٢-١٣).

وقد جاء تمرد الشيطان وكبره واستعلائه واعتداده بأصله وعنصره ونسبة في سياق الرفض للقرار الإلهي بتعيين آدم خليفةً في الأرض ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾، (البقرة:٣٠).

ومفهوم "خليفة" بالمصطلح القرآني مفهوم سياسي يقصد به الزعامة أو الرئاسة أو الإمامة لأن الإمامة في القرآن مشتقة من الأمام أي الشخص الذي يتقدم الناس وهو الزعيم أو الرئيس والإمامة في القرآن هي إمامة هدى وإمامة ضلال نقول ذلك لأن الأئمة الذين حكموا في اليمن ألف عام قد شوهوا هذا المصطلح فَهُم أئمة ضلال ولكن هذا لا يمنعنا من استخدام هذا المصطلح القرآني ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾، في سياق إمامة الهدى.

ومما يؤكد أن مصطلح "خليفة" يقصد به الإمامة السياسية قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾، (ص: ٢٦).

كما أن مصطلح خليفة يقصد به إلى جوار الزعامة والإمامة السياسية معنى إضافي وهو الإشارة إلى تداول السلطة لأن الخليفة يأتي بعد مخلوف فسياق القرآن المتعلق بالخلافة والاستخلاف يدل على هذا من ذلك قوله تعالى:

- ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾، (١٣٣) الأنعام.
- ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـٔٗاۚ﴾،هود٥٧

- ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، (١٦٩) الأعراف.

فالآيات السابقة أكدت ما ذهبت إليه بصريح القرآن لأنني أؤمن أن منهجية تفسير القرآن بالقرآن هي أقوى مناهج التفسير وهذه المنهجية تساعدنا في فهم القرآن موضوعياً وتساعدنا أيضاً في فهم القرآن حتى لغوياً أقول هذا لأن هذا المصطلح "خليفة" مصطلح مهم قرآنياً وقد أخطأ في فهمه كثير من العلماء والمفكرين فاعتبروا الخلافة في الأرض وكأنها مصطلح لتنظيم علاقة الإنسان بالأرض أي الطبيعة، والحقيقة أنه مصطلح سياسي لتنظيم العلاقات السياسية، والخطأ الآخر في وجهة نظري الذي وقع فيه بعض العلماء والمفكرين هو اعتبار هذه الخلافة خلافة عن الله في حين أن سياق الآيات يدل على أنها خلافةً بالله فلو جاء هذا المصطلح "خليفة" خاص بآدم لاحتملنا هذا الفهم القائل إنها خلافةً عن الله لكن سياق الآيات كلها المتعلقة بهذا المصطلح "خليفة – خلفاء – يستخلف" يؤكد أنه استخلاف بالله لا استخلاف عن الله بدليل الآيات التالية:

- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾، (٥٥) النور.

- ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾، (٦٩) الأعراف.

- ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، (٧٤) الأعراف.

إذن: فمصطلح خليفة تدل قرآنياً على ثلاثة أبعاد لغوية:

١- أنها زعامة ورئاسة سياسية لتنظيم العلاقات السياسية.

٢- أنها تشير إلى تداول السلطة ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ لأن كلمة خليفة تدل على مخلوف وخالف.

٣- وأنها خلافة بالله لا عن الله بدليل أن كل الآيات تشير إلى أن الله استخلف آدم وداود واستخلف قوماً عن قوم ووعد باستخلاف المؤمنين في كل أطوار الصراع السياسي التاريخي بين المؤمنين والكافرين.

من خلال المعاني اللغوية لمصطلح خليفة للقرآن فإننا نفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، أن خلافة آدم هنا هي خلافة بدلاً عن الملائكة والجن بزعامة الشيطان أي أن الشيطان كان هو الخليفة قبل آدم والقرائن التي تعزز هذا الفهم هي:

أولاً: احتجاج الملائكة على قرار التعيين الإلهي لآدم خليفةً بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، (٣٠ البقرة).

ومما يؤكد شعور الملائكة على رأسهم الشيطان أن هذا الأمر (جعل آدم خليفة) فيه دلالة على انتزاع الخلافة منهم وارتباط هذا وتعلقه بهم هو هذا الاحتجاج الملائكي وهذا الحوار السياسي الرائع بين الله والملائكة الذي سعى الملائكة من خلاله بقيادة إبليس الذي كان طاووس الملائكة إلى التشكيك في كفاءة آدم وجدارته بهذا المنصب: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ثانياً: ثم يأتي المشهد الثاني لقصة أول صراع سياسي شهدته الخليقة بين الملائكة والجن وبني آدم وقصة أول حوار سياسي يدور حول تداول السلطة السياسية، مشهد أن الله سبحانه وتعالى لم يغضب من الملائكة والشيطان على هذا الحوار الساخن وإنما حاورهم وعندما شككوا في كفاءة آدم وأظهروا أنهم أجدر منه بقولهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾،.

رد الله عليهم بما يثبت أنه أكفأ منهم ولم يكن رد الله رداً نظرياً وإنما لكي يقتنعوا قناعة كاملة أنه أكفأ منهم أدخل الجميع في اختبار عملي: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، {٣٣} (٣١-٣٣) البقرة.

والآيات السابقة أوضحت لنا عدة أمور:

١. أن معيار ومواصفات هذا المنصب الأساسي هو العلم والكفاءة.

٢. جرى الاختبار العملي بين آدم والملائكة متعلقاً بهذا المعيار "العلم".

٣. أثبت لهم عملياً أن آدم أكثر علماً منهم.

٤. لو حاولنا معرفة سر تفوق آدم العلمي لوجدناه في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، فالكل تعلّم من الله تعالى لكن ما تميز به علم آدم يكمن في قوله تعالى ﴿ٱلْأَسْمَآءَ

كُلَّهَا﴾، فكلمة "كلها" إشارة إلى العلم الكلي الذي هو علم السنن وهو العلم الذي يقود إلى الفهم الشامل ويتولد عن هذا العلم الكلي خاصية التنبؤ واستباق الأحداث ولا يصل إلى هذا الفهم إلا من امتلك خاصية التعلم الذاتي وملكة فهم قوية تحلل وتستنبط، أما علم الملائكة فهو علم جزئي وليس لهم خاصية العلم الذاتي ولذلك لا يعلمون إلا بقدر التلقين الإلهي لهم مباشرة وإن في هذه القصة دروس بليغة في علم السياسة وفي علم الإدارة أشرنا إليهما ولم نفصلها.

ثالثاً: ومن القرائن على أن خلافة آدم جاءت بدلاً عن رئيس الملائكة "إبليس" والملائكة أيضاً هو أنه بعد إثبات كفاءة آدم العلمية على الملائكة تم إصدار التوجيهات الربانية إليهم بالتسليم لخلافته وإعلان طاعته من خلال الأمر الإلهي بالسجود والسجود هنا سجود الطاعة والاعتراف ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

رابعاً: من الأدلة أيضا على أن خلافة آدم كانت بدلاً عن الشيطان رئيس الملائكة هو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى

لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ٦٥﴾، (الإسراء:٦١-٦٥).

فقول الشيطان في الآية: ﴿أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ﴾، دليل على استخلاف آدم بعد مخلوف هو الشيطان حيث اعتبر الشيطان تعيين آدم تكريم لآدم على الشيطان أي بديلاً عنه.

يتضح لنا من قصة آدم وإبليس أنها قصة أول صراع سياسي في الأرض وفيها العديد من الدروس السياسة أهمها:

١- أن مشكلة الشيطان هي مشكلة سياسية تتمثل في رفضه لخلافة آدم في الأرض بحجة وضاعة أصله وعنصره ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾، واشتراطه الأفضلية العنصرية لتولي الخلافة، وتكبر الشيطان باشتراطه الأفضلية العنصرية كشرط من شروط الولاية والخلافة كان سبباً في تكفيره وطرده من رحمة الله وحرمانه من الخلافة ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾، الأعراف١٣، ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، البقرة٣٤.

ويترتب على هذا المعنى القرآني الواضح الصريح القطعي الدلالة أن من اشترط الأفضلية العنصرية للولاية العامة والخلافة ولم يكتفي بشرط العلم كما أوضح القرآن ذلك ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾، فقد خرج عن الولاية الإلهية ودخل في الولاية الشيطانية الطاغوتية ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾، البقرة٢٥٧، فيكون حكم من فعل ذلك

كحكم الشيطان ويجب أن يحرم من الولاية العامة والخلافة بل ويطرد من الأرض التي يحل فيها حتى لا يتكبر فيها بنزعته العنصرية الشيطانية ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.

٢- ويتعزز هذا الفهم بمنهجية تفسير القرآن بالقرآن بأن الله حرم الولاية العامة والخلافة على المستكبرين المشترطين للأفضلية العنصرية كشرط من شروط الولاية واختص المستضعفين بالولاية العامة والخلافة بقوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ القصص٥.

فهذا دليل قرآني قطعي الدلالة بأن الله سبحانه وتعالى اتجهت إرادته لنصرة المستضعفين المحرومين من الحقوق السياسية والاجتماعية لا المستكبرين بإعطائهم هذه الحقوق ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾، ، فكما قال الله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾، لآدم الذي استضعفه الشيطان واحتقره لوضاعة أصله الطيني بزعمه، تصرح هذه الآية الكريمة بجعل بقية المستضعفين أئمة ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾، أي زعماء وقادة وخلفاء، وفي سياق المستضعفين والمستعبدين القرآني هذا يمكن فهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المطابق لمعنى القرآن في قوله صلى الله عليه وسلم: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة"، فهذا الحديث يتطابق مع القرآن من زاوية نصرة المستضعفين على المستكبرين وإقرار الولاية العامة فيهم وحرمان المستكبرين منها بل وطرد المستكبرين وإخراجهم من الأرض التي يحلون فيها حتى لا يفسدوها بكبرهم.

٣- أن الخلافة والولاية العامة أصل من أصول الشريعة بدليل أن الله سبحانه وتعالى كفّر الشيطان ولعنه وطرده من رحمته بسبب موضوع الخلافة والولاية لآدم لا بسبب آخر عقائدي أو تشريعي ومن المعلوم عند العلماء أن الحكم بالكفر لا يكون إلا في الأصول لا المسائل الفرعية.

٤- أن الإسلام لا يقيم وزناً للأنساب والأحساب، فعلى الرغم من أن الملائكة خلقوا من نور والجن خلقوا من نار وبني آدم خلقوا من طين إلا أن الله فضل آدم عليه السلام وجعل معيار التفاضل بين الناس معيار كسبي لا قسري يمكن أن يتسابق الناس في تحصيله وهو العلم والتقوى والكفاءة والإخلاص، أما المعايير القسرية "اللون – الدم – الوطن – القوم" فلا تصلح أن تكون معياراً للتفاضل لأنها معايير قسرية ليس بيد الإنسان اختيارها.

٥- الحوار السياسي الرائع بين الله والملائكة وأن في هذا الحوار بين الخالق ومخلوقيه لدرس بليغ لكل الطغاة والمستكبرين الذين يأنفون من استشارة أو محاورة تابعيهم فضلاً عن محاورة مخالفيهم.

٦- أن تداول السلطة من أهم الأسباب للحروب والصراعات السياسية عبر التاريخ وأن الوصول إلى تداول السلطة سلمياً تجنيب لحياة الدول والمجتمعات من حروب مدمره وهدر كبير للطاقات والإمكانات في سبيل إرضاء قيادات سياسية تتنافس على السلطة.

٧- إن قصة الشيطان مع آدم في القرآن الكريم بينت لنا حقيقة هامة غابت عن أذهان كثير من العلماء وهي أن مشكلة الشيطان العقدية الكبرى ليست في كفره بالله فهو مؤمن بالله بصريح القرآن في قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩﴾، ص٧٩ وقوله تعالى ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ

مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، الحشر١٦، ولكن مشكلته في كبره وتمرده واعتداده بأصله ومحتده وفي رفضه التسليم بحقوق آدم السياسية "حق الخلافة في الأرض" ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾، بحجة وضاعة نسب آدم لأنه خلق من تراب والشيطان خلق من نار.

فالكبر في المنظور القرآني هو الخطيئة الكبرى التي استوجبت تكفير الشيطان ولعنه وطرده من رحمة الله لقوله تعالى ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، البقرة٣٤.

ومن هذا المنطلق القرآني الواضح نقول أن من اعتد بنسبه وأصله لصلة قرابة بنبي من الأنبياء أو رسول من الرسل معتبراً أنه من نسب مقدس والآخرون من نسب مدنس فزعم نفسه سيداً والآخرون عبيداً فقد استكبر ومن استكبر فقد كفر لصريح قوله تعالى ﴿فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩﴾، ومن اعتقد نفسه عبداً لسادة من البشر فقد أشرك بالله وكفر لأنه لا يمكن أن تجتمع عبودية الإنسان لخالقه مع عبوديته لبشر لأنّ جوهر التوحيد هو إطلاق حرية الإنسان إزاء الإنسان وإعلان مبدأ المساواة بين البشر ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾.

والقرآن بصريحه ذم سيادة بشر على بشر واعتبر ذلك مظهراً من مظاهر الشرك والضلال ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧﴾ الأحزاب٦٧، فلا رب ولا سيد إلا الله.

وذم القرآن الذين يفسرون الدين تفسيراً عنصرياً ويزكون أنفسهم زاعمين أنهم أبناء الله وأحباؤه أو أبناء رسول الله وأحباؤه

فقال تعالى في سياق ذم اليهود خاصة ومن سار على نهجهم في التفسير العنصري ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ النساء.

وكما لعن الله الشيطان وطرده من رحمته لأنه زكى نفسه عنصراً وأصلاً فقال تعالى ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾،.

نجد القرآن يلعن اليهود الذين زكّوا أنفسهم افتخاراً بنسبهم الإبراهيمي في نفس السياق من سورة النساء بقوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾، النساء٥٢.

٨- الخيرية في المنظور القرآني خيريتان خيرية الرحمن وخيرية الشيطان.. خيرية الرحمن هي خيرية الأخلاق والقيم وخيرية الشيطان هي خيرية العنصر والدم ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾،

فالكبر والاستعلاء والتفاخر بالأصل والعنصر والنسب هو عنوان هذه المدرسة وبالتالي فمن استكبر واستعلى على بني آدم وفسر الدين تفسيراً استعلائياً استكبارياً عنصرياً فهم تابعون لمدرسة الشيطان وإن

لبسوا لبوس الدين، وهم "آل الشيطان وذرية إبليس" لا آل الرسول.

ويقول تعالى في بيان خيرية المؤمنين لا المتعصبين المنافقين ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، آل عمران(١١٠) فخيرية الإسلام هي خيرية القيم أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر لا خيرية الاعتداد بالأنساب والأحساب "دعوها فإنها منتنة" كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم.

٩- على إثر رفض الشيطان لخلافة آدم انقسم العالم إلى ساحة للصراع السياسي بين حزب الله وحزب الشيطان وبموجب حرية الإرادة التي مُنحت من الله للجن والإنس -بخلاف الملائكة- أمهل الله الشيطان إلى يوم القيامة لقيادة التمرد ضد الله وأديانه السماوية التي ما تنزلت إلا لتحقيق مصالح البشرية دنياً وآخره ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، ١٦، وتحريرهم من الأنظمة الطاغوتية الاستبدادية التي تراعى مصالحها الأنانية وتلغي مصالح المجتمعات والشعوب ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، (البقرة:٢٥٧).

حيث طلب الشيطان من الله إمهاله إلى يوم القيامة ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾، صلى الله عليه وسلم.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الحجر:(٣٩-٤٠).فأكد الشيطان أنه سيغوي بني آدم من نفس غوايته وهي النزعة العنصرية الاستكبارية

بعد هذا الخلاف انقسم العالم كما أسلفت إلى ساحة للصراع السياسي بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أولياء الرحمن هم أتباع النظام السياسي الإلهي وهو النظام الذي تكون فيه الولاية العامة قائمة على أساس العقيدة لا على التفسير العنصري والعصبية الجاهلية، فالولاية العامة والخلافة في المنظور القرآني هي قائمة على أساس الإيمان لا الأفضلية العنصرية لصريح قوله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾، النور٥٥.

فالوعد في القرآن بالخلافة السياسية والتمكين للمؤمنين وليس لعصبية جاهلية هاشمية أو قحطانية "ليس منا من دعا إلى عصبية".

الفصل الثالث: فهم

الأدلة الفرعية (المتشابهة) المتعلقة بآل وأهل البيت في ضوء المحكم

بعد أن أوضحت المعاني المحكمة لمفهوم آل البيت وأهل البيت في القرآن والسنة الصحيحة بمنهجية تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة الموافقة لمتون النصوص القرآنية لا المتعارضة معها عملاً بقوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ آل عمران - ٦، لأن المنهجية الصحيحة للفهم والاستدلال الذي أشارت إليه الآية السالفة هو البدء بالمحكم أي الأصل "أم الكتاب" ثم المتشابه "الفرع" لأن الفرع كما يقول علماء الأصول لا يمكن معرفته قبل معرفة أصله ومن هنا ينشأ التشابه، سأبدأ بمناقشة الأدلة الفرعية ومتشابهاتها على النحو التالي:

حديث الكسا

حديث الكسا من أهم وأخطر الأحاديث التي يستشهد به من يفسرون الإسلام تفسيراً عنصرياً سلالياً استكبارياً "الشيعة بمختلف مذاهبهم"، وهذا الحديث أربك أيضاً الكثير من علماء السنة، وهو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المروي عن عائشة قالت: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾،

وفي رواية للترمذي روى بسنده إلى عمرو بن أبي سلمة ربيب النبي قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، في بيت أم سَلَمة فدعا فاطمة وحسنًا وحُسينًا فجللهم بكسا وعليّ خلف ظهره فجلله بكسا ثمَّ قال "اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا". قالت أم سَلَمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنتِ على مكانك وأنت على خير.

وسأناقش مدلول هذا الحديث على ضوء القواعد المنهجية التي أشرت إليها سلفاً من عدة زوايا:

أ- أقول هذا الحديث "حديث الكسا" ورد في سياق تفسير قوله تعالى في القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ، وبعض علماء أهل السنة من ذوي المنهجية الجزئية قَبِلَ هذا الحديث على قاعدة تفسير القرآن بالسنة وهذه القاعدة صحيحة لكن ما ينبغي التنبه له أن المفسر قد يفسر

القرآن بالسنة إذا كان نص الحديث موافقاً للنص القرآني لا معارضاً له لا سيما إذا كانت دلالة متن النص القرآني قطعية لا ظنية، أما إذا تعارض الحديث مع متن النص القرآني فعندئذ نعمل بالقاعدة الأصولية المشار إليها "قاعدة التعارض والترجيح" أي عندما يتعارض حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الظني السند مع النص القرآني القطعي السند والدلالة فنحاول التوفيق بين النصين المتعارضين ولو استدعى الأمر أن نغلّب المفهوم المرجوح للحديث على المفهوم الراجح فإذا لم نستطع التوفيق يرد الحديث لأنه ليس كل حديث صحيح السند صحيح المتن كما قرر ذلك علماء الأصول كالشاطبي والإمام مالك الذي كان يقدم عمل أهل المدينة على الحديث الأحادي الظني الصحيح وكالإمام البخاري الذي أورد حديث رد عائشة للحديث الصحيح السند المرتبك المتن "إن الميت ليعذب ببكاء أهله".

والمفسر المتدبر للآية المتعلقة بأهل البيت وتطهيرهم سيجدها خاصة بنساء النبي نصاً ومضموناً بحيث لا يمكن أن يدرج في مفهوم الآية أي رجل لاعتبارات تتعلق بسياق الآية ومضمونها ولنتدبر معنى هذه الآيات في قوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾..

إن المتدبر لمتن هاتين الآيتين سيدرك بوضوح أن الآية وردت في سياق نساء النبي خاصة بصريح القرآن والنداء موجه لنساء النبي

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، ومضمون الآيتين كله في سياق نساء النبي ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾،.

وبهذا يتضح أن متن الآيتين القرآنيتين متعلق بنساء النبي صلى الله عليه وسلم بدلالة قطعية يفهمها طالب في الصف الثالث إعدادي فضلاً عن عالم مجتهد، وهذا الرأي هو المشهور عن ابن عباس كما جاء في تفسير ابن كثير.

وليس ذلك فحسب بل أستطيع القول بأن هذا السياق القرآني لا يمكن أن يدخل فيه أحد غير نساء النبي صلى الله عليه وسلم بصورة خاصة والسبب أنه كما يقول علماء الأصول بأن الحكم يدور مع العلة وجوداً وعدماً.

فسياق الآيتين أوجب على نساء النبي تكاليف وأحكام إضافية ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ هذه الأحكام والتكاليف هي:

- ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾،
- ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.
- ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾.

ثم أوردت الآية علة هذه الأحكام والتكاليف بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ فعلى هذا الأساس "الحكم يدور مع العلة" لا يمكن إدخال أحد من الرجال في سياق قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ

ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾. إلا إذا تم إسناد تلك الأحكام والتكاليف إليهم وهي عدم الخضوع بالقول والقرار في البيت وعدم التبرج وهذا أمر مستحيل لأن هذه التكاليف التي دارت عليها العلة منوطة بالنساء لا بالرجال.

ويتعزز هذا الفهم بأن المقصود بأهل البيت في هذه الآية نساء النبي بقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فلنتدبر معاً هذا التعبير القرآني ﴿بُيُوتِكُنَّ﴾ فقد دل هذا التعبير دلالة قاطعة بأن أهل البيت هن نساء النبي بنسبة بيوت النبي إليهن بدخول نون النسوة على البيوت.

وبهذا نخلص بأن متن هاتين الآيتين قطعي الدلالة بأن المقصود بأهل البيت هنا نساء النبي خاصة.

وفي هذا السياق يمكننا القول بأن حديث الكسا قد عارض وخالف صريح الآيات القرآنية في سورة الأحزاب عندما أخرج الحديث نساء النبي من سياق هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾ مع أن ما قبل هذا السياق وبعده يتحدث عن نساء النبي على النحو الذي أوضحته.

ومن هذه الزاوية يمكننا القول بأن هذا الحديث وإن صحّ سنده إلا أن متنه يعارض القرآن وقد أوضحت سلفا بأن صحة السند لا تستوجب صحة المتن وأن متن الحديث إذا خالف القرآن حكم عليه بالبطلان وإن كان صحيح السند كما قرر ذلك علماء الحديث من ذلك ما أكده الشيخ الألباني المحدّث المعاصر الشّهير في كتابه "الآيات البيّنات في عدم سماع الأموات" بأنّ صحّة السّند لا تستوجب صحّة المتن، وأنّ هذه قاعدة مشهورة عند علماء الحديث بقوله: "المقرّر في

علم مصطلح الحديث أنّ صحّة الحديث لا يستلزم صحّة المتن لعلّة فيه خفيّة أو شذوذ من أحد رواته".

وذكر ابن القيّم في كتابه "المنار المنيف في الصّحيح من الضّعيف" أمورًا كليّه يعرف بها كون الحديث موضوعًا منها مخالفة الحديث لصريح القرآن.

وما قاله محدث الديار اليمنية الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله: "كتاب ابن الجوزي من أحسن الكتب، أنصح إخواني في الله بقراءته، وهو مأخوذ من " الأباطيل " للجوزقاني، وإبن الجوزي أعلم من صاحب الأباطيل، وصاحب الأباطيل متكلم فيه (١)، لكن ابن الجوزي عالم ومحدث فله نظران إلى الحديث. أحدهما: أنه ينظر إلى السند ثم ينظر إلى المتن، فإذا رأى المتن مبايناً لشرع الله أو رآه فيه شيء من النكارة حكم عليه، ولو كان الحديث ما في سنده كذاب" الفتاوى الحديثية. (١-٤٠٢ ط دار الآثار).

فيكون حال هذا الحديث كحال الحديث الذي ردّته عائشة رضي الله عنها "إن الميت ليعذب ببكاء أهله" لمخالفته لصريح القرآن وبهذا يتضح صحة ما حكم به ابن تيمية على الأحاديث التي يتشبث بها الشيعة الرافضة بقوله "وأما سائر الأحاديث التي يتعلّق بها الروافض فموضوعة، يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها». منهاج السنة ٣٢٠٣٢١/٧.

ب- بعد أن أوضحت تعارض هذا الحديث مع نص القرآن المتعلق بالآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، نقول بأن هذا الحديث يتعارض مع السياق المحكم لمفهوم أهل وآل البيت في القرآن والذي طرقناه من عدة زوايا على النحو السالف.

ج- كما أن حديث الكسا يتعارض مع نص قرآني متعلق باللباس والكسا في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾، الأعراف٢٦، فصريح هذه الآية دل على وجود لباس وكسا "طيني جسدي" ﴿لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا﴾ ولباس وكسا ديني ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾،.

وبهذا يتضح أن من يفسرون القرآن باللباس والكسا العنصري "لباس الجسد والطين" يعارضون صريح القرآن الذي يؤكد أن كسا ولباس الدين والتقوى هو خير، وهذا تعزيز لمفهوم أهل البيت وآل البيت بمفهوم الدين لا الطين بمنطلقاته الإنسانية لا العنصرية الشيطانية.

حديث العترة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي" حديث صحيح (السلسلة الصحيحة للألباني)

هذا الحديث أيضاً من الأحاديث التي استغلها الشيعة في مرويات أهل السنة وفسروا الإسلام تفسيراً عنصرياً بموجبه، ولبيان معنى هذا الحديث أقول: إن العالم المُلم بالشريعة الغراء مقاصداً وكليات وجزئيات ومحكمات ومتشابهات وعاماً وخاصاً ومجملاً ومقيداً عندما يقف أمام هذا الحديث يجب أن يكون في ذهنه كافة القواعد المنهجية التي أشرنا إليها في بداية البحث ،وهو عندما يسبر غور هذا الحديث وفق تلك القواعد ويقف أمام حديث للرسول صلى الله عليه وسلم كمثل هذا الحديث يفترض فيه ألا يتوقف عند دلالة الحديث ويستنبط منه معنى يعارض المعاني المحكمة التي سبق إيرادها بل يعتبر دلالة هذا الحديث الفرعي متشابهة، ثم يقوم بعرض هذا الحديث على المحكم من المعاني عملاً بقوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ آل عمران ٦.

وقد أشار علماء التفسير أنه عندما تبرز دلالة متشابهة فيتوجب الرد إلى المحكم أي الأصل لأن منشأ الإشكال عند البعض هو النظرة الجزئية للنصوص وكأن كل نص موضوع مستقل في حين أن المنهجية الصحيحة هو التفسير الموضوعي لكافة النصوص المتعلقة بالموضوع مع التمييز بين الأصل والفرع في الموضوع الواحد والمحكم والمتشابه، وصدق الله العظيم القائل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾،

إبراهيم٢٤، فأصل الموضوع كجذر الشجرة التي يعطيها الثبات والتماسك وفرعها لا يثبت إلا إذا كان الأصل ثابت، وما أشرنا إليه من محكمات وأصول في هذا الموضوع "نسب الطين ونسب الدين – قصة نوح ومفهوم الأهل في القرآن – مفهوم الآل في القرآن بأنهم الأتباع – وحدة الأصل البشري (قصة آدم....الخ)، هي الأصول المحكمة الحاكمة لأن القرآن مقدم في الاعتبار ويجب أن يفهم هذا الحديث في ضوءها مالم فيرد، والعالم عندما يسير وفق هذه المنهجية المحكمة سيسبر غور هذا الحديث كالتالي:

معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي":

١- على ضوء القواعد المنهجية السالفة اتضح أن القرآن قد فرق بين نسب الطين ونسب الدين وجعل نسب الدين فوق نسب الطين وبالتالي استخدم كل المفردات اللغوية الدالة على نسب الطين في سياق نسب الدين مثل كلمة "أخ" ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات ١٠، وكلمة "أب" ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾، "الأمهات": ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾، ، ﴿نَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾...الخ، وبالتالي فالحديث استخدم كلمة عترة ثم فسّر العترة بأنهم أهل البيت "وعترتي أهل بيتي" وعليه فإن معنى العترة وأهل البيت في هذا الحديث هم المؤمنون وليس بني هاشم، وعلى ضوء هذا الفهم تنتفي الإشكالية من الحديث ولا يفهم فهماً عنصرياً سلالياً طاغوتياً استكبارياً يقسم الناس إلى سادة وعبيد لأن هذا الفهم يضرب مقاصد الإسلام وكلياته.

٢- وعلى ضوء هذا الفهم سيكون معنى الحديث هو الإشارة إلى الإجماع أو الشورى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا تجمع أمتي على ضلالة".

٣- وإذا أدركنا أن هناك روايتان: رواية تقول "كتاب الله وسنتي" ورواية تقول "كتاب الله وعترتي" فستكون دلالة الحديثين هي الإشارة إلى مصادر التشريع المعروفة في كتب الأصول "القرآن – السنة – الإجماع أو الشورى"، وبهذا الفهم لا نجد أي إشكالية في فهم الحديث.

٤- ويتعزز هذا الفهم لمعنى الثقلين في الحديث والعترة أهل البيت بأنهما "وحي السماء كتاباً وسنة" "والإجماع والشورى" بما ورد في القرآن من تأكيد بأن مدار أمر المسلمين يقوم على أصلين هما:

أ- الشريعة الإسلامية "قرآن وسنة"

ب- الشورى

أما الدليل بأن الشريعة هي الأصل الأول والثقل الأول الذي يقوم عليه أمر المسلمين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، الجاثية١٨، فصريح هذه الآية قد اعتبر الشريعة هي مدار الأمر الواجبة الإتباع.

وأما الدليل القرآني الذي اعتبر الشورى الأصل الثاني والثقل الثاني الذي يدور عليه أمر المسلمين هو قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، فالنص القرآني هنا صريح الدلالة أن أمر المسلمين من بعد الشريعة يعود إلى الشورى.

إذاً فالثقلان كتاب الله والعترة هما "الشريعة – والشورى".

٥- لو افترضنا أن المقصود بالحديث هنا "أهل البيت والعترة" بني هاشم لتصادم هذا الفهم مع كافة المعاني المحكمة التي أشرت إليها سلفاً، وحكم هذا التعارض إذا لم نجد لهذا الحديث تأويلاً ينسجم مع المعاني المحكمة الواردة في هذا السياق هو رد الحديث على قاعدة عرض الحديث على القرآن لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾، النساء٨٢، فهذه الآية قررت توافق وحي السماء كتاباً وسنة وجعلت من اختلاف النصوص والتعارض دلالة على أنها من عند غير الله، وعلى ضوء هذا الدليل أقول لأهل السنة الذين ضعفوا حديث رد السنة إلى القرآن بأن هذه آية لرد السنة إلى القرآن وليس حديث ولأن القرآن قطعي سنداً والسنة ظنية فيجب عرضها على القرآن فإذا اختلفت مع القرآن وتعارضت أدركنا أن هذا الحديث من عند غير الله ورسوله أي حديث موضوع وإن كان سنده صحيح.

٦- كما أننا لو افترضنا أن المقصود بالعترة بني هاشم فإلى جوار مصادمة هذا الفهم للمعاني المحكمة القرآنية الواردة بهذا الصدد على النحو الذي أسلفت فإننا من زاوية أخرى إذا افترضنا أن المقصود بني هاشم من العترة والآل سنجد أنفسنا في إشكالية في تطبيق هذا الفهم في الواقع لأن بني هاشم منهم المؤمن والكافر ومنهم السني والشيعي وهم موزعون بين السنة شوافع وحنابلة وأحناف ومالكية وموزعون بين الشيعة زيدية وإثنا عشرية واسماعيلية وبهائية...الخ، وهنا سيبرز السؤال: من المقصود ببني هاشم؟ السنة أم الشيعة؟ وإذا

كانوا في السنة فأي مذهب؟ وإن كانوا في الشيعة فأي مذهب؟ وبهذا نخلص أنه يستحيل تطبيق الفهم العنصري لهذا الحديث في الواقع.

المودة في القربى

قوله تعالى ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾.

نقول ابتداء يجب أن لا نفهم هذه الآية المتشابهة إلا في ضوء المعاني المحكمة القرآنية السالفة الذكر عملاً بقاعدة رد المتشابه إلى المحكم.

وعلى هذا الأساس فالقرابة هنا تحمل على قرابة الدين وليس على قرابة الطين ويتعزز هذا الفهم بمنهجية تفسير القرآن بالقرآن بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾، المجادلة٢٢، فصريح هذه الآية نفى المودة عن الأقارب طيناً أباً وإبناً وأخوة وعشيرةً وأثبتها ديناً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾.

فهذه دلالة قطعية قرآنية على أن المودة لا تكون لقرابة الطين وإنما لقرابة الدين.

المراجع

١. القرآن الكريم
٢. صحيح البخاري
٣. ظلال الجنة – الألباني
٤. صحيح ابن ماجة – الألباني
٥. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – الدكتور جواد علي
٦. كتاب الموافقات – الإمام الشاطبي
٧. مجموع الفتاوى – شيخ الإسلام ابن تيمية
٨. المعجم الصغير – الطبراني
٩. سلسلة الأحاديث الضعيفة – الألباني
١٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – النووي
١١. صحيح الجامع – الألباني
١٢. صحيح وضعيف الجامع الصغير – الألباني
١٣. السنن الكبرى للبيهقي
١٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل
١٥. تفسير ابن كثير
١٦. السلسلة الصحيحة – الألباني
١٧. الآيات البينات في عدم سماع الأموات – الألباني
١٨. أدب الطلب – الإمام محمد بن علي الشوكاني
١٩. ديوان الإمام محمد علي الشوكاني
٢٠. ديوان الشهيد محمد محمود الزبيري
٢١. الطريق إلى الحرية – مذكرات العزي صالح السنيدار
٢٢. نهج البلاغة – ابن أبي الحديد
٢٣. صحيفة الصحوة